الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــــي والبحـــث العلمي
جامعـــــة يحيـــى فـــــارس
كليـــــــة الآداب واللغـــــات
قســـم: اللغـــــة والأدب العربي

التَّشبيه الحِجَاجي ودوره في إيضاح المعنى
آيـــات من ســـورة طـــه – أنموذجا –

مذكرة مكملة لمتطلبات لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي
تخصص: لسانيات الخطاب

من إعـــداد الطالبـــين:
- أزقلي محمود.
- بن رامي بوعلام.

إشـــراف الأستـــــاذ الدكتور:
أ . د/ محمد زوقاي

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
01	دويفي سهام	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	محمد زوقاي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
03	محمد الهاشمي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا

السنـــة الجـــامعيـــة: 2021-2022

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــــي والبحـــث العلمي
جامعـــــة يحيـــى فـــــارس
كليـــــــة الآداب واللغـــــات
قســـم: اللغـــــة والأدب العربي

التَّشبيه الحِجَاجي ودوره في إيضاح المعنى
آيـــات من ســـورة طـــه – أنموذجا –

مذكرة مكملة لمتطلبات لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي
تخصص: لسانيات الخطاب

من إعـــداد الطالبـــين:
- أزقلي محمود.
- بن رامي بوعلام.

إشـــراف الأستـــــاذ الدكتور:
أ . د/ محمد زوقاي

أعضـــــاء اللجنـــــة المناقشـــــة

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
01	دويفي سهام	أستاذ محاضر أ	رئيسا
02	محمد زوقاي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
03	محمد الهاشمي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا

السنـــة الجـــامعيـــة: 2021-2022

إهداء

إلى من نّحب.

محمود أزقلي/ بوعلام بن رامي.


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمـة

مقدمة:

يارب لَكَ الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سُلطانك والصلاة والسلام على صَفوة خلقك وخاتم أنبيائك . محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وسلم وبعد.

ممّا لا شكّ فيه ولا ريبَ أنّ القرآن الكريم خطابٌ ربّاني مُقدّس أنزله اللّه تعالى على سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم رحمة للعالمين، وتضمَّن وصايا ونصائح وإرشادات. مما يصلح لهداية البشر وتنوير طريقهم إلى اللّه جلّ جلاله.

وكان من الضروري في ذلك أن يبرهن على ما جاءهم به من عقائد وأحكام وأخبار وغيبيات وغيرها. ويُقنعهم لأن يدخلوا في دين اللّه أفواجا، فهذا ما يسمى **بـــآليات الحِجَاج في الخطاب القرآني أو استراتيجيات الإقناع أو وسائله.**

أمّا الحجاج في القرآن الكريم هو الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع، وذلك باستعمال الدلائل العقلية والعلمية واللّغوية والنَّظرية والكونية في الأنفس والآفاق بياناً لحقيقة الإسلام.

إنَّ استعمال المناهج الجدلية والبراهين القرآنية في الدعوة إلى الصراط المستقيم الموصل إلى ذي العزّة والجلال، بتحقيق الحق وإبطال الباطل، وقد جمع القرآن الكريم كلّ ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾. الأنعام.149.

ومن تلك الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في الإقناع والحجاج والبرهان نجد: الحِجَاج بالمثل (التشبيه) والتمثيل والقصة وبالحوار وبالعقل.

وقد كان التركيز في هذا البحث حول التَّشبيه الحِجَاجي أو الحِجَاج بالتَّشبيه.فاتخذنا له عنوانًا بـــ: "**التَّشبيه الحِجَاجي ودوره في إيضاح المعنى، آيات من سورة طه أنموذجا**".

ومنه كانت الإشكالية التالية:

- ماهو التَّشبيه؟ وما دوره في إيضاح المعنى في سورة طه؟

- ما هو الحِجَاج؟

- ما مفهوم الحِجَاج عند العرب قديمًا وحديثًا؟

- ما هو مفهوم الحِجَاج عند الغَرب قديمًا وحديثًا؟

- ما مدى جمالية الخطاب القرآني في ضرب الأمثال والتَّشبيه؟

- ما هي جمالية التَّشبيه الحِجَاجي في القرآن الكريم؟ (سورة طه).

أمّا عن سبب الدراسة يَعود لغياب الدراسات المنهجية الصارمة لحِجَاجية الصُّورة.

كما تمَّ اعتماد في بحثنا هذا على المنهج الاستقرائي الوصفي ، وممّا تَجدر الإشارة إليه هو أهم الدراسات السابقة التي استفدنا منها. من بينها: الحِجَاج في القرآن لعبد اللّه صولة.

اللّغة والحِجَاج لأبي بكر العزّاوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان التَّشبيهات القرآنية للطالب: أحمد بن سالم الشهري، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني.

وقد اقتضت من طبيعة الموضوع أن نقسِّم بحثنا إلى: مقدّمة وثلاثة فصول في الجانب النَّظري.

الفصل الأول وقد تضمَّن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التَّشبيه لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أركان التَّشبيه وأقسامه

المبحث الثالث: التَّشبيه في البلاغة.

وتناولنا في **الفصل الثاني** مبحث بعنوان: التَّشبيه عند علماء البلاغة.

ويليه **الفصل الثالث** وتضمن ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: الحِجَاج لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: الحِجَاج عند العرب والغرب قديمًا.

المبحث الثالث: الحِجَاج عند العرب والغَرب حديثًا.

أمَّا الجانب التطبيقي فتضمن ثلاثة فصول وجاءت كالتالي:

الفصل الأول بمبحث عنوانه التعريف بسورة طه.

أمّا **الفصل الثاني** والمعنون بـــ: النَّظريات الحِجَاجية وتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: نظرية الحِجَاج الجدلي.

المبحث الثاني: نظرية الحِجَاج البلاغي.

المبحث الثالث: نظرية الحِجَاج اللّغوي أو اللّساني.

المبحث الرابع: نظرية الحِجَاج الخَطابي.

و**الفصل الثالث** جاء بمبحث واحد تحت عنوان: آلية التَّشبيه الحِجاجي ودوره في إيضاح المعنى في سورة طه.

أمّا الخاتمة فكانت عبارة عن مُجمل النتائج المتوصل إليها.

وفي الختام نشكر اللّه سبحانه وتعالى الذي وفقنا لهذا ثم نتقدم بالشّكر إلى الأستاذ المحترم "**محمَّد زوقاي**" الذي أشرف على بحثنا وعلى توجيهاته الصائبة وصدره الرحب.

وللّه الحمد من قبل ومن بعد وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الجانب النظري

الفصل الأول: مدخل اصطلاحي لتقريب مصطلح التشبيه (لغة واصطلاحا)

- **تمهيد:**

- **المبحث الأول:** التشبيه لغة واصطلاحا
- **المبحث الثاني:** أركان التشبيه وأقسامه
- **المبحث الثالث:** التشبيه في البلاغة

تمهيد:

إنّ أرقى التَّشبيهات في البيان العربي هي تلك التَّشبيهات التي وردت في القرآن الكريم ، وهذا الموضوع قد بُحث قديمًا وحديثًا في أشتات مُتناثرة من مختلف الدراسات القرآنية[1] ، حيث لا نجد كتابًا بلاغيًا ولا مبحثًا قرآنيًا ولا مُصنفًا في مجازات القرآن لا يخلو من الإشارة إليه[2]، أي "التَّشبيه" ولعلّ الشيء الذي يستوقف الدارس في تشبيهات القرآن الكريم هو غَوْرُها في أعماق النّفس الإنسانية وسَبرِها لمظاهر الكون والطبيعة واستقطابها لملامح الحسّ والإدراك البصري والسمعي وسَبْك ذلك كلّه في صياغةٍ مُوحّدة تنظر إلى هداية الإنسان وتهيئة ذهنه بما يُحسُّ أمامه وبين يديه وما يدركه واعيًا في حياته العامّة.

أسلوب التَّشبيه هو ليس من الأساليب الأدبية في اللّغة العربية فحسب ؛ وإنَّما في سائر اللّغات، ولقد عُني به العرب وجعلوه أحد مقاييس البراعة الأدبية، وتوالى عُلماء البلاغة على التَّشبيه كلٌّ ينظر إليه من زاويةٍ ويُقسّمه تقسيمات مختلفة باعتبارٍ من الاعتبارات.[3]

إنَّ التَّشبيه يُعتبر أحدُ الأركان الأساسية في علم البيان خصوصًا، وفي علوم البلاغة عمومًا، لما فيه من الصور البيانية الرائعة... وهو فوق ذلك فصل من فصول الآيات البيانية للقرآن الكريم، لَفَتَ اهتمام علمائنا قديمًا وحديثًا فأَوْلَوهُ العناية والاهتمام.

---

[1] محمد حسين علي الصغير: **أصول البيان العربي**، ص80.

[2] عبد العظيم المطعني: **المجاز في اللغة والقرآن الكريم**، (ج1).

[3] مصطفى الصاوي الحويني: **البلاغة العربية تأصيل وتجديد**، ص84.

وقال عنه أبو هلال العسكري في كتابه "**الصناعتين**": « التَّشبيه يزيد المعنى وضوحًا ويُكسبه تأكيدًا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العربِ والعجمِ عليه ولم يَستغنِ أحدٌ عنه».[1]

التَّشبيه: التعريف الأول:

لغةً: التَّشبيه أو المُمَاثَلة و يقال: « شبَّهت هذا بهذا تشبيهًا أيْ مثَّلته به... ».[2]

اصطلاحًا: يُعتبر التَّشبيه الرُّكن الأوَّل من أركان علم البيان والمُلاحظ أنَّه كثير الوُرود في كلام العرب، لأنَّه من الوسائل التي يستعين بها الأدباء على تصوير الأشياء وإبرازها في أحسن الصوَّر وأبهاها وأولاها بالقبول، وأجمع البلاغيون على أنَّ التَّشبيه يقومُ على بيان تشابهٍ بين شيئين أو أشياء في صفة أو أكثر بأداةٍ هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة.[3]

التشبيه لغةً: التعريف الثاني:

من أَشبَهَ الشيءُ الشيءَ إذا ماثَلَه، وتشابُه الشيئان واشتبها، أشبَه كلٌّ واحدٍ صاحبه، وهو التمثيل.[4]

وردت كلمة (شبه) بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم للدلالة على معنى المُمَاثلة اثنتا عشر مرة (12) منها:

---

[1] الجيلالي سلطاني: **الصورة التشبيهية ودورها في الإبلاغ.**

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص18.

[3] رجاء عبيد: **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**، منشأ المعارف، مصر، ص237.

[4] ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، مادة شبه، ج7، ص23.

« قَالُوْا اُدْعُ لنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِي إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ» البقرة.70.

« وَقَولِهِم إِنّا قَتَلْنَا المَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرِيَمَ رَسُولَ اللهِ ومَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ...» النساء.157.

والتَّشبيه اصطلاحًا: عقد مُماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر لغرضٍ يقصده المتكلم.[1]

يتفق جميع من قاموا بتعريف التَّشبيه في الاصطلاح على التصريح بأنَّه يقوم على اشتراك شيئين في صفة، وإن أُختلفت عباراتهم في التصريح بقوَّة الصفة وظهورها في المشبَّه به عن المشبَّه، وكونه بالأداة ملفوظة أو مُقدَّرة.[2]

ويُعرّفه السيّد أحمد الهاشمي في كتابه "**جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**" بـــ: « التَّشبيه أوَّلُ طريقةٍ تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى، وهو في اللّغة التمثيل. وعند علماء البيان: مشاركة أمرٍ لأمر في معنى بأدوات معلومة. كقولك: "العلم كالنور في الهداية" فالعلم مُشبّه، والنّور مشبَّه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التَّشبيه، فحينئذٍ أركان التَّشبيه أربعة: مشبَّه، ومشبّه به ويُسميان طرفَي التَّشبيه. ووجه الشبه وأداة التَّشبيه « ملفوظة أو ملحوظة».[3]

---

[1] أحمد الهاشمي: **جواهر البلاغة**، ص272.

[2] محمود موسى حمدان: **أدوات التشبيه دلالتها واستعمالاتها في القرآن الكريم**، ط1، 1413هـ - 1992م، مطبعة الأمانة.

[3] أحمد الهاشمي: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص218.

التَّشبيه في البلاغة:

هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمر آخر في معنى بأداة تشبيه، وأهم مقاصد التَّشبيه هو الإيجاز في عرض المعاني، وذلك لأنَّ قولك: « محمدٌ كالبحر جُودًا» أوجز من أي عبارة تؤدي هذا المعنى الذي تضمنه التَّشبيه، أو وصف المشبَّه بالكثير من الصفات.[1]

وقول لبيد بن ربيعة:

وما المالُ والأهلونَ إلاّ ودائع ولابد يومً أن تُرد الودائع.

وقال آخر: رأيت الغانيات نفرن منّي نفار الوحش من رام مُفيق.[2]

[1] مسعد الهواري: قاموس **قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوّق**، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص16.

[2] أفاق الرّامي السهم: وضعه في الوَتَر ليرمي به.

المبحث الثاني:

مطلب أول: أركان التَّشبيه:

أركان التَّشبيه أربعة هي: المشبّه والمشبّه به ويُسميان طَرَفي التشبيه وأداة التَّشبيه ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبّه به منه في المشبَّه، كقول الشاعر: أنت كاللّيث في الشجاعة والإقدام.[1]

مطلب ثاني: أقسام التَّشبيه:

أولًا: باعتبار طرفيه: أربعة أقسام:

1-تشبيه المفرد بالمفرد.

2-تشبيه المركب بالمركب.

3-تشبيه المفرد بالمركب.

4-تشبيه الجمع.

ثانيًا: التشبيه باعتبار وجهه: أربع تقسيمات:

1-تمثيل.

2-غير تمثيل.

3-المجمل، ما لم يذكره وجهه.

ومنه ما هو ظاهر: « زيدٌ أسد»

[1] فهد بن عبد الله الحزمي: **قواعد البلاغة**، ص03.

ومنه ما هو خفي: « هم كالحلقة المفرغة».[1]

4-المفصّل: ما ذكر وجهه كقول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في الحسن وفي بُعد المنال جُدْ، فقد تنفجر الصخرة بالماء الزُلال

ثالثًا: التشبيه باعتبار الأداة:

1-المؤكد: ما حذفت أداته، كقوله تعالى: « وهي تَمُرّ مَرّ السَّحَابِ» النمل.88.

2-المرسل: ما ذكرت أداته، كقوله تعالى:« مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِيْ اسْتَوقَدَ نَارًا» البقرة:.17.

وكقول امرئ القيس:

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحان وتقريب تتفل.[2]

أيطلا: خاصرتا.

إرخاء: جري.

سرحان: الذئب.

تتفل: الثعلب.

التَّشبيه المقلوب:

هو جعل المشبَّه به بادعاء أنَّ وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.

قال محمد بن وهب الحميري:

[1] مسعد الهواري: **قاموس قواعد البلاغة**، مكتبة الإيمان، ص23.

[2] مسعد الهواري: **قاموس قواعد البلاغة**، مكتبة الإيمان، ص23، ص24.

وبَدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يُمتدحُ.[1]

لقد تطرقنا في هذا الفصل إلى تعريف التَّشبيه لغةً واصطلاحًا، وكذلك أقسام التَّشبيه والتَّشبيه في الموروث البلاغي القديم.

[1] مصطفى الصاوي الحويني: **البلاغة العربية تأصيل وتجديد**، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، ص90.

الفصل الثاني: التَّشبيه عند علماء البلاغة

التَّشبيه عند علماء البلاغة:

لم يُقصِّر علماء البلاغة في بيان منزلة التَّشبيه، وما له من أثر في رفع شأن الكلام، وخلع أشعة البهاء عليه، وإلباس رَوعِ الإعجاب، وتمهيد طريق معبّد له في ثنايا النَّفوس، وفتح باب القبول أمامه في أطواء الصدور، فإنَّه أشبهُ شيء بوسائل الإيضاح ونماذج الدروس التي تسبق الشرح أو يعقب بها عليه، فتذلل ما عسى أن يكون من عُسرٍ في الفهم، وتُثبّت معانيها في الذهن[1].

يقول قدامة: ... وأمّا التَّشبيه فهو من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلّما كان المشبِّه « بالكسر» منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف، وكلّما كان بالمعنى أسبق كان بالحذق أليق.

ويقول العسكري:

وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كلّ جيل ما يستدلّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلّ لسان.

ويقول ابن قتيبة:

وليس كلّ شعر يُختار ويُحفظ على جودة اللَّفظ والمعنى، ولكنّه قد يُختار على أسبابٍ منها الإصابة في التَّشبيه.

[1] علي الجندي: **فن التشبيه: بلاغة، أدب، نقد**، ج1، ط1، ص48.

كقول القائل:

بدأن بنا وابن الليالي كأنّه حسام جلت عنه العيون صقيل[1]

فما زلت أفني كلّ يوم شبابه إلى أن أتتك العيس وهو ضئيل

ويقول الباقلاني:

والتشبيه تُعرف به البلاغة.

ويقول البطين:

أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وَضْعٌ على أربعة أركان: مدحٌ رافع، أو هجاءٌ واضع، أو تشبيهٌ مصيب، أو فخرٌ سامق.

ويقول عبد القاهر:

وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشئم و المُعرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهًا في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، ويُنطق لك الأخرس، ويُعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك اِلتئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين[2].

ويقول السكاكي:

فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زِمام التدرب في فنون السحر البياني.

---

[1] ابن الليالي: كناية عن القمر.

[2] علي الجندي: **فن التشبيه: بلاغة، أدب، نقد**، ج1، ط1، ص49.

ويقول الخطيب:

إنَّه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في البلاغة، وأنَّ تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يُضاعف قواها في تحريك النّفوس إلى المقصود بها مدحًا كانت أو ذمًا أو افتخارًا أو غير ذلك.

ومن رأي الدكتور شوقي ضيف:

أنَّ التَشبيه لا يحتاج بُعدًا في الخيال ولا عُمقًا في التصوير، وأنَّه لونٌ مفرد بل هو صِبغ من أصباغ لون مفرد هو لون التصوير[1].

ويقول ابن رشيق: – وهو من النّقاد الشعراء –

يُصرح بأنَّ أشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التَّشبيه، لما يحتاج إليه من شاهد العقل، واقتضاء العيَان.

وأنَّ المعاني إنَّما اتَّسعت لاتَّساع النَّاس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض، فمصَّروا الأمصار، وحضَّروا الحواضر، وتأنَّقوا في المطاعم والملابس وعُرفوا بالعيان عاقبة مادلتهم عليه بداهة العقول من فضل التَّشبيه وغيره. ثم يقول: وإنّما خصصت التَّشبيه، لأنَّه أصعبُ أنواع الشعر وأبعدها متعاطى.[2]

كما عرَّف الرّماني التَّشبيه بقوله: « هو العَقد على أنَّ أحد الشيئين سَدّ مَسدَّ الآخر في حسّ أو عقل، والعَقد يعني عقد الكلام وإقامة هيأته على صورة تفيد أنَّ أحد

[1] المرجع نفسه، ص49 ص50.

[2] المرجع نفسه، ص50.

الشيئين مشبَّه بالآخر، ويسدّ مسدَّه في الصفة المشتركة، وذلك كقولك: زيدٌ شديد كالأسد، فالكاف ربطت المشبَّه بالمشبَّه به، وعقدت بينهما، ثمّ إنَّ هذا الربط بين الطرفين قد يكون في النَّفس مثل أن تعتقد معنى زيد الأسد، فهذا تشبيه داخلي أو عقد في النَّفس كما يقول الرّماني، وقوله (في حسّ أو عقل) معناه أن أَحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في الحسّ مثل هذا الماء كهذا الماء، أو هذا الذهب كهذا الذهب، فالطرفان يقوم أحدهما مقام الآخر في الحس، أو قولنا قوة عمر تكفي كقوة زيد، فإنَّه يقوم فيه أحد الطرفين مقام الآخر في العقل، قال الرماني: فالقوة لا تُشاهد ولكنها تُعلم سادَّة مسدّ أخرى».[1]

ويقول عبد القاهر: « وإذا بحثنا عن ذلك -يعني تأثير التمثيل- وجدنا له أسبابًا وعللًا، كلٌّ منها يقضي أن يُفخّم المعنى بالتمثيل وينبل، ويشرَّف ويكمل، فأول ذلك وأظهره أن أُنس النفوس موقوف على أن تُخرجها من خفي إلى جلّي، وتأتيها بصريح بعد مُكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس، وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض، وبالفكرة في القلب إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع، وعلى حدّ الضرورة».[2]

---

[1] د. محمد أبو موسى: **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، مكتبة وهيبة، 14 شارع الجمهورية، القاهرة، ط2، ص98.

[2] المرجع نفسه، ص99.

الفصل الثالث: الحجاج

تمهيد :

المبحث الأول : الحجاج لغة و اصطلاحا

المبحث الثاني : الحجاج عند العرب و الغرب قديما

مطلب أول : الحجاج عند العرب قديما

مطلب ثاني : الحجاج عند الغرب قديما

المبحث الثالث : الحجاج عند العرب و الغرب حديثا

مطلب أول : الحجاج عند العرب حديثا

مطلب ثاني : الحجاج عند الغرب حديثا

مفهوم الحِجَاج: لغة واصطلاحًا:

تمهيد :

يرى بعضهم أنَّ الحِجَاج في الدراسات الحِجَاجية على ضربين: ضربٌ أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال إذ هو يُعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجّة، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مُجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ... وجدنا للحِجَاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهومٌ يجعله مرادفًا للجدل ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسمًا مشتركًا بين الجدل والخَطابة خاصَّة ونجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال) ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين، ذلك أن الحِجَاج قد أخذ شيئًا فشيئًا في الاستواء مبحثًا فلسفيًا ولغويًا قائم الذات في العصور الحديثة[1].

الحِجَاج لغة:

نعوّل العودة للأصل المعجمي لمصطلح الحِجَاج في بناء تصور أوّلي لهذا النشاط الإنساني حيث استخدمت فيه اللُّغة كوسيلة من وسائل التواصل والتأثير بين الجماعات البشرية المختلفة، إذ ورد في لسان العرب وتحت مادة (حَ جَ جَ) قول ابن منظور:

[1] عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، ص8 ص9.

« حاججته: أي غلبته بالحجج التي أدليتُ بها. والحجّة هي البرهان أو ما دوفع به الخصم، وتُجمع الحجّة على حجج، ويقال حاجّه محاجّة وحِجاجا أيْ ؛ نازعه الحجَّة، والتّحاج هو التخاصم، والرجل المحاجَّ هو الرجل الجدل، والاحتجاج من احتجَّ بالشيء؛ أيْ اتّخذه حجّة، ويقال أنا حاججته، فأنا محاجه وحجيجه أي مغالبه بإظهار الحجّة التي تعني الدليل والبرهان[1].

اصطلاحًا:

إنَّ الحِجَاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها.

إنَّ كون اللّغة لها وظيفة حِجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية مُحددة، لا بواسطة الوقائع(Les fiats) المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضًا وأساسًا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللّغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها[2].

ويقدم شايم بيرلمان "Ch. Perelman" مفهومًا للحِجاج وذلك في قوله: « جعل العقول تذعن وتسلّم لما يُطرح عليها من الأقوال، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان وذلك

[1] ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت711)، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وزملائه، مادة (ح ج ج)، دار المعارف، بيروت، ص779.

[2] أبو بكر العزاوي: **اللغة والحجاج**، ط1، 2006، ص16.

التسليم، فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب».[1]

ويضيف "فيليب بروطون" P .breton في تعريف الحجاج بقوله: « يتطلب تعريف حقل الحجاج القبض على خصوصية هذا الحقل الجوهري في النشاط الإنساني والإحاطة به، ولأجل هذه الغاية نقف على ثلاثة عناصر:

- يفيد الحِجَاج أولًا التواصل؛ فنحن في « موقفٍ تواصلي» يتضمن، مثل أي موقف من هذا النمط، رسالة ومشاركين، أي دينامية حقيقية.[2]
- ليس الحجاج إقناعًا مفروضًا، وهو ما يفترض قطيعة مع التطويع، أي التأثير القسري بالمعنى الذي لا يكون فيه التطويع قائمًا على وسائل الإقناع.
- الحجاج معناه البرهان، أي اقتراح الرأي على الآخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يُذعنون له.[3]

[1] Ch. Perelman et Lucie - Tyteca, **traité de l'argumentation**, éditions de l'université de Bruxelles, Belgique, 6 édition, 2008, P59.

[2] فيليب بروطون: **الحجاج في التواصل**، تر: محمد مشبال، عبد الواحد العلمي، ط1، 2013، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص33.

المبحث الثاني: الحجاج عند العرب و الغرب قديمًا:

المطلب الأول: الحجاج عند العرب قديمًا:

أولى العرب قديمًا عناية كبيرة في ممارساتهم تجسّدت في شعرهم وخطبهم، وفي العصر الإسلامي تجلى في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

حجاجية الصورة الشعرية:

تعتبر الصورة الشعرية مقياسًا أساسيًا من مقايس الشعر العربي لأنها تعتمد على أُسس بلاغية وهي التَّشبيه والاستعارة والكنابة، والصورة الشعرية هي حجَّة الشعراء لتجسيد فكرتهم التي يتوقف عندها الوعي بالمتلقي.

الحجاج في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو رسالة موجهة للبشرية جمعاء، جاء ليُسطر للفرد علاقته مع خالقه ونفسه وغيره من البشر... فالقرآن خطاب حجاجي، موجَّه في أساسه للتأثير على آراء المخاطب وسلوكاته، واستمالة العقول، وتوجيه النّفوس، ولذلك وظّف الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمِّن له هذه الغايات.[1]

فقد تميَّزت آيات القرآن الكريم بأساليب حجاجية تعتمد على إعمال العقل والتفكير والبرهان والحجّة، بحيث يسعى الخطاب القرآني إلى الإقناع، وهو خطاب موجه إلى مخاطب كوني.

فكونية القرآن الكريم جعلته يقوم على توظيف أساليب متنوعة في التبليغ.

[1] عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، **مجلة التراث العربي**، ع: 102، ص33.

الحجاج عند الجاحظ:

يعتبر الجاحظ واحدُ عصره لِمَا حاز من قدرات معرفية بوّأته منزلة خاصة في التراث العربي، فتكوين الجاحظ المعرفي مكّنه من إحكام الروابط بين المسائل التي بحثها، عاش الجاحظ في فترة صاخبة بالجدل والمساجلات وذلك لما عرفته البيئة من جماعات ومدارس واتجاهات فكرية متباينة التي كانت تتصارع فينا بينها على تداول الأفكار التي من شأنها حسم القضايا المرتبطة بالخلافة، والسلطة، والنَّص القرآني، والمعارف الوافدة، فنشأة الجاحظ في البصرة صقلت منهجه، فاعتمد على الأدوات المنطقية والآليات البرهانية، والحجج العقلية والتي اتسمت بها مؤلفاته.

وليس الحِجاج إلّا إيصال المتلقي إلى قناعات يجهلها أو يُنكرها من خلال الحجة الدامغة والبرهان المصدّق والدليل المؤكد، بيد أن هذا الهدف لا يُمكن أن يتحقق بسهولة يقول الجاحظ: « أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللَّفظ، لا يُكلم سيّد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرَّف في كلّ طبقة...».[1]

كما تعود أصول الحِجَاج في خطاب الجاحظ إلى علم الكلام القائم على البرهنة العقلية على مسائل متعلقة بإلِهيات والعقائد حيث يتوجب على المتكلم أن يؤسس مواقفه الكلامية على براهين داعمة ومؤيدة.[2]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، ص448-449.

[2] الجاحظ: **الحيوان**، ج: 01، ص56.

الحِجَاج عند ابن وهب:

أمَّا بالنسبة لإسحاق بن وهب (337 هـــ) يمكن سرد بعض أراءه في الحجاج من خلال مناقشته قضية الجدل والمجادلة.

قدم ابن وهب في كتابه "**البرهان في وجوه البيان**" تعريفًا دقيقًا للجدل والمجادلة:

« أمَّا الجدل والمجادلة فهما قولٌ يُقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المجادلين، ويُستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتنصّل في الاعتذارات».[1]

والجدل فيما يُفهم من كلامِ بن وهب خطاب تعليلي إقناعي.[2]

الحِجَاج عند حازم القرطاجني:

أورد حازم "الحِجَاج" على أنَّه من أوجه الكلام يقول: « لمَّا كان كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب، إمَّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإمَّا أن يُرد على جهة الاحتجاج والاستدلال».[3]

نجد أنَّه ميّز بين نوعين من الكلام بين الإخبار والاقتصاص وبين الاحتجاج والاستدلال، كما ميّز بين طريقتين لإقناع الخصم وهما التمويهات والاستدراج، وهما من الاستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع، يقول: « التمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من النَّاس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها

[1] أبو الحسن إسحاق بن وهب: **البرهان في وجوه البيان**، تح: جنى محمد شرف، ص222.

[2] المرجع نفسه، ص225.

[3] حازم القرطاجني: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص63.

إلى تقوية الظنون في شيء ما أنَّه على غيره ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها».[1]

كما يرى "حازم" أن المخاطِب يهدف إلى التأثير في المتلقي، ليقوم بفعل الذي يطلبه، وليتحقق ذلك يجب مراعاة المخاطِب لحال المتلقي.

يسمح "حازم القرطاجني" للشاعر أن يلجأ إلى الإقناع أحيانًا والخطيب إلى التخيَّل أحيانًا أخرى، يقول: « وإنَّما سَاغَ لكليهما أن يستعمل يسيرًا فيما تتقوَّم به الأخرى لأنَّ الغرض في الصناعتين واحد وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النُّفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه».[2]

المطلب الثاني: الحجاج عند الغرب قديمًا:

كوراكس Corax:

كوراكس من أوائل المنظرين للحِجَاج، إذ استنبط صياغة منهجية تنظم الخطاب الحِجَاجي ويُمكننا أن نجملها في مجموعة من الملاحظات وهي:

- ارتباط نشأة الحجاج بظهور المدينة الإغريقية واستقرارها كيانًا ماديًا ومنظومة قيمية.
- عمق الارتباط بين نشأة الحجاج واحتفاء المدينة الإغريقية بالكلمة.
- الصلة بين الحجاج والمؤسسة القضائية.

[1] المرجع نفسه، ص63.

[2] المرجع نفسه، ص361.

استند كوراكس على الحجاج النافع المتعلق باللّذة أي لذَّة الاستهواء بالنسبة للمرسل إليه ولذَّة النفع بالنسبة إلى المرسل، ويكون توجيه الحجاج بحسب النفع الذي يقصد إليه المُرسِل (القائل).[1]

سقراط:

تمتع سقراط بمكانة مرموقة بين قومه، حاول إيقاظ شعب أثينا من السبات الذي خيم عليهم وكان يتظاهر بعدم المعرفة، كما كانت له نظرة حول البلاغة على أنَّها امتلاك التأثير على الأنفس[2]، وأضاف أن البلاغة لا تتعلق فقط بالخطابات التي توجه في المحاكم والاجتماعات العامة، إنَّما أيضًا بتلك التي تُستخدم في الاجتماعات الخاصة، كما وسَّع سقراط دائرة استخدام البلاغة بربطها بمناهج البحث.

كما حاول سقراط أن يأتي بالاستدلال غير الذي كان شائع عند "زينون الإيلي" و"السفسطائيين" المتمثل في البرهان بالخلف وهو الاستدلال غير مباشر، فأحدث الاستدلال الاستقرائي وهو أداة منهجية أساسية في تكوين المعرفة... « فتتمثل في ترابط حدوده ومعانيه وتداخلها واندراج بعضها في بعض».[3]

---

[1] هشام الريفي: **الحجاج عند أرسطو، ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)**، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة تونس 1، ص61.

[2] حمادي صمود: **مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح (ضمن أهم نظريات الحجاج)**، ص25.

[3] محمود اليعقوبي: **دروس في المنطق الصوري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص237.

الحجاج عند السفسطائيين:

السفسطائية حركة وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد(5ق.م) وقد تميَّز روادها بالكفاءة اللّغوية وبالخبرة الجدلية، وقد لعب وجودهم دورًا كبيرًا في تطوير البلاغة القولية التواصلية والحياة الفكرية العامة.[1]

لقد ظهر السفسطائيون لكي يزوّدوا المجتمع الأثيني بأسلحة الجدل والخطابة، واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية، وقد تحوَّلت الفلسفة آنئذٍ إلى فن الجدل بامتياز، واتُخذت وسيلة لكسب الأرباح المادية، سيما أنَّ أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء، ونذكر من الفلاسفة السفسطائيين، جورجياس وكاليكس وبروتاغوراس...[2]

الحجاج عند أفلاطون:

وبعد سقراط، جاء أفلاطون ليقدم تصورًا فلسفيًا عقلانيًا مجردًا؛ إذ أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال، بينما لا وجود للمحسوس في فلسفته المفارقة لكلّ ما هو نسبي وغير حقيقي...[3]

وهذا، وقد قسَّم أفلاطون العالم الأنطولوجي إلى قسمين: العالم المثالي والعالم المادي، فالعالم المادي هو عالم متغيّر ونسبي ومحسوس[4]... وأنَّ العالم الحقيقي هو

---

[1] مجدي الكيلاني: **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر**، دار التنوير، ط: 01، 2008، ص5.

[2] جميل الحمداوي: **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، افريقيا الشرق، 2014، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص14، ص15.

[4] المرجع نفسه، ص14.

عالم المثل الذي يوجد فوقه الخير الأسمى الذي يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلي والتفلسف، فالطاولة التي نعرفها في عالمنا المحسوس غير حقيقية، أمَّا الطاولة الحقيقية فتوجد في العالم المثالي.[1]

وهكذا يتبين لنا أن فلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة والحس، تعتبر عالم المثل العالم الأصل، بينما العالم المادي هو عالم زائف ومشوَّه وغير حقيقي.

كما ذكر أفلاطون أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن، والثاني هو موضوع الخطابة في رأيه، فكان أفلاطون يعارض السفسطائيين كثيرًا لأنَّه ينزع إلى الحقيقة ونبذ الإيهام والتغرير على خلاف السفسطائيين الذين يرون المنفعة مقدمة على الحقيقة فبأي طريق حصلتَ على المنفعة كان ذلك صحيحًا ومقبولًا عندهم.

والخطابة المقبولة عند أفلاطون هي التي تقود إلى المعرفة أو إلى تشخيص هذه المعرفة وليست محاولة التغرير بالنَّاس والقضاة.

وعارض أفلاطون السفسطائيين في أن تكون الخطبة ذات قواعد شكلية تكثر فيها المحسنات اللَّفظية والبدع الكلامية المغرية والخداعة، ولابد أن تكون الخطبة هادية للنفوس نحو الجمال والعدالة فهي عندهم تستلزم معرفة الحقيقة من جهة ومعرفة النَّفس من جهة أخرى. والخطابة لا توصلهم إلى العلم وإنَّما إلى الإقناع فقط[2]. حيث يقول: « كما أنَّ الطبيب يهتم بطبيعة الجسم، كذلك يجب على الخطيب أن يهتم بطبيعة النفس

[1] المرجع نفسه، ص15.

[2] محمد صقر خفاجة: **تاريخ الادب اليوناني**، مكتبة النهضة المصرية، 1956، ص180.

فيعرف حالاتها المختلفة وانفعالاتها المتغيّرة والطرق العديدة للتأثير عليها والأوقات التي تستجيب فيها للتأثير».[1]

الحجاج عند أرسطو:

يُعد أرسطو فيلسوفًا موسوعيًا شاملًا؛ لأنَّ فلسفته تنفتح على كلِّ ضروب المعرفة والبحث العلمي، فهي تبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم الحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح[2]... ويذهب أرسطو إلى أنَّ العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أمَّا العالم المثالي، فهو غير موجود. وأنَّ الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه خاصة في الجواهر التي تدرك عقلانيًا[3]... ولقد أعطى أرسطو الأولوية لما هو واقعي ومادي على ما هو عقلي وفكري، ومن هنا عُدَّ أرسطو فيلسوفاً ماديًا اكتشف العلل الأربع: العلَّة الفاعلة، والعلَّة الغائيَّة، والعلَّة الصورية الشكلية، والعلَّة المادية.

إنَّ وصف البلاغة بالجديدة هو وصف يقابل بلاغة/خطابة أرسطو (القديمة)، فقد كان أرسطو ينطلق من كون الخطابة إنَّما هي الكشف عن الطريق الممكنة للإقناع، وهذا الإقناع يتوقف عند أرسطو على ثلاثة أركان هي: أولًا أخلاق القائل وهو ما يمكن أن نسميه **بحجَّة الإيتوس** (**Ethos**)، وثانيًا تصبير السامع في حالة نفسية ما وهو ما يمكن أن نسميه **بحجَّة الباتوس** (**Pathos**)، وثالثًا القول نفسه من حيث هو يثبت أو

[1] المرجع نفسه، ص180.

[2] جميل حمداوي: **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق، 2014، ص24.

[3] كمال بخوش: **محاضرات في نظريات الحجاج**، جامعة يحيى فارس المدية، 2021، ص2، ص3.

يبدو أنَّه يثبت، وهو ما يمكن أن ننعته **بحجَّة اللُّوغوس (Logos)**،أي الكلام و/أو العقل، فمدار الخطابة عند أرسطو إنتاج الأقوال وبنائها بطريق يحصل بها الإقناع، بمعنى أنَّها علاقة بين طرفين تتجلى على مستوى اللّغة والخطاب، حيث يحاول كلّ طرف أن يؤثر في الطرف المقابل وحثّه على القيام بعمل معين.[1]

أقسام الخطابة عند أرسطو:

... وعلى هذا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة هي:[2]

أ. **البصر بالحجَّة:** ما يعني الظفر بالشيء والوقوع عليه مما تؤديه العبارة العربية... وهو حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسدَّ المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذاً إلى استضعاف الحجة والخروج على دائرة فعلها، وربَّما نقضها بما يخالفها أو يُباينها.[3]

ب.**ترتيب الأقسام:** إذ بعد الظفر بالحُجَجِ والتفكير في مكوّنات الخطاب، لابدَّ من التفكير في ترتيب تلك الحجج ووضع كلَّ واحدة في المكان المناسب لها، فيزيدها ذلك قوَّة ويُمكّن لها في ذهن المخاطَب.

ت.**العبارة:** بعد أن يكون الخطيب تهدّى إلى الحجج المناسبة لمقام خطبته ورتَّب الأقسام في ذهنه بما يجعل تلك الحجج مترابطة ترابطًا كأنَّه ليس في الإمكان أحسن

---

[1] كمال بخوش، المرجع نفسه، ص03.

[2] حمادي صمود: **مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص14.

منه استجابة لمقتضى الاستدلال وشروط المنطق، راح بعد ذلك يبحث عن اللَّفظ المناسب الذي به يُخرج كلَّ ما كان في الذهن والذاكرة إلى الوجود والفعل.[1]

وبالعبارة يتغير حكم الخطبة من اعتمال مستور لآراء وحجج وقضايا إلى وجود ظاهر لا يمكن بدونه أن يحدث الالتقاء بين المتكلّم والسامع ولا يتيسَّر أن يبلغ الخطيب من المخاطَب مآربه وأن يقضي عنده حاجته.[2]

[1] حمادي صمود، المرجع نفسه، ص15، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص17.

المبحث الثالث : الحجاج عند العرب و الغرب حديثا

المطلب الأول: الحجاج عن العرب حديثًا:

يحتاج النَّاظر إلى منزلة نظريات الحِجَاج في الدراسة العربية الحديثة إلى وقفة تأمّلٍ تضبط الحدود الزمانية لبداية الاهتمام بهذه النَّظريات، وإلى نظرة نقدية لممارسات هذه النَّظريات وتطبيقاتها على النُّصوص العربية المختلفة، ولعلَّ الإقناع وهو مقصد أساسي في الخطب والنصوص ذات المنزع التأثيري قد شكَّل نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية، وفي صيغتها العربية القديمة) والبلاغة الجديدة (نظريات الحِجَاج والتداولية ونظرية الأعمال اللّغوية). فالإقناع هدف يتحقق عبر توسّل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية، تركيبية، بيانية...).[1]

ولعلَّ من بين الدراسات الأولى التي تطرقت الحجاج بشكل فنّي دقيق كتاب "**فن الإقناع**" (1985) لمحمد العمري، حيث اقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلًا حجاجيًا.

ويأتي كتاب صلاح فضل "**بلاغة الخطاب وعلم النص**" (1993) ليعزز الناحية النظرية والتاريخية والعلائقية لمباحث الحِجَاج من خلال فتح الحدود بين البلاغة والأسلوبية وبين التداولية والحجاج...

وتأتي دراسات "طه عبد الرحمان"، في سياق ربط النظريات الحجاجية بالمنطق؛ ومحاولة استثمار ذلك في تبيان منهج التراث عبر نماذج كثيرة (ابن رشد، ابن خلدون،

[1] صابر الحباشة: **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**، دمشق، 2008، ص45.

الشاطبي، الغزالي...) ويُعدّ كتاب "**تجديد المنهج في تقويم التراث**" (1994) كتابًا غنيًا في هذا السياق التأصيلي، حيث لا يبقى الحجاج نبتة غريبة، بل يوجِد له أصولًا وامتدادات في المتن التراثي الفكري والفقهي والفلسفي والأصولي والنَّحوي[1].

المطلب الثاني: الحجاج عند الغرب حديثًا:

كانت جهود المفكرين الغربيين المعاصرين منصبَّة على قراءة التراث اليوناني القديم، مستعينين في ذلك بالدراسات الحديثة كاللّسانيات المعاصرة، وذلك بإعادة بعث البلاغة وتخليصها ممَّا علق بها من تشويه يعود إلى التفريعات التي مورست عليها من قبل.

النَّظرية الجديدة في الحجاج البلاغي (الأرسطيون الجدد):

تأسست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م مع رجل القانون الشيكي شايم بيرلمان (**Chaïm Perelman**) واللّسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا (**Lucie Tyteca**) حين أصدرا معًا كتابهما "**الوجيز في الحجاج، البلاغة الجديدة**" وقد تبلورت هذه البلاغة أيضًا مع ستيفان تولمان في كتابه "**استعمالات الدليل أو الحجَّة**" وشارل هامبلان في كتابه " **الأوهام**".[2]

[1] المرجع نفسه، ص45.

[2] جميل الحمداوي: **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق، 2014، ص27.

الحِجَاج عند ميشال ميار (Michel Meyer):

إنَّ آراء "ميار" في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية، لمّا كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولَّد عن ذلك نقاش يولّد بدوره حجاجًا، فالحجاج لديه مُتحايث لاستعمال الكلام، لأنَّ الكلام يتضمَّن بالقوة سؤالًا يستمدّ منه دلالته، والحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كلّ ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره.[1]

إنَّ الحجاج متعلّق لدى "ميار" بنظرية المساءلة وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدّي إلى نتيجة أو موقف نُحَمِّل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية المتَّصل بالزوج سؤال/جواب ومن هنا يوظف "ميار" مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما:" الضمني" و" المُصرح به" وهما في نظرنا إعادة صوغ لما جاء عند "أزوالد ديكرو" في إطار نظرية المساءلة، فالمصرح به هو ظاهر السؤال ،أمَّا ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، وفي هذا الإطار بالذات يرتبط الحجاج بالبلاغة، فإذا كانت البلاغة أن نفاوض في المسافة، ترتَّب عن ذلك أن تنهض لغويًا بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير بحسب مقصد المخاطِب ومقتضيات المقام.[2]

---

[1] محمد علي القارصي: **البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة "لمشال ميار"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص394.

[2] المرجع نفسه، ص395.

الحِجَاج عند بيرلمان (Perelman) وألبريخت تيتكا (O-Tyteca):

يحصران موضوع الحجاج في « درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطاريح، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم».[1]

وتتمثل غاية الحجاج عندهما في « **جعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدَّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مُهيئين للقيام بذلك العمل في اللَّحظة المناسبة**».

إذًا يعني الحجاج حسب "شايم بيرلمان وتيتيكا": الطريقة التي بها تُقدم الحجج وتُعرض منطقيًا وعقلانيًا من أجل الدفاع عن فرضية أو تفنيدها من أجل جعل الغير يقتنع بها أو يرفضها.[2]

الحِجَاج عند ديكرو:

عرَّف ديكرو الحجاج بقوله: « حيث نصف خطابًا ما بأنَّه خطاب حجاجي، فذلك معناه أنَّ هذا الخطاب يحتوي على ملفوظين اثنين على الأقل: **(م1)**، **(م2)**، حيث يقوم

[1] جميل حمداوي وبلال داوود: **بلاغة الحجج**، ط1، 2022، ص08.

[2] جميل حمداوي وبلال داوود، المرجع نفسه، ص09.

أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر ويسمى الأول حجَّة والثاني نتيجة، فالعلاقة الموجودة للحجاج لا تخرج في كلّ الأحوال عن بنية القول اللّغوية».[1]

[1] كمال بخوش: **الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية عرض مفهومي لمصطلح الحجاج اللغوي والعامل الحجاجي**، مجلة تعليميات، العدد 09، جوان 2016، ص344.

الجانب التطبيقي:

الفصل الأول: التعريف بسورة

الفصل الأول:التعريف بسورة طه

المبحث الأول: التعريف بسورة طه

التعريف بسورة طه:

إنّ علماء القرآن ومُفسِّريه مُجمعون على أن "طه" من القرآن المكّي.

ويؤكد مكيّة السورة أن قراءة عُمَر رضي الله عنه لآيات من هذه السُّورة كانت هي السبب في إسلامه، وعُمَر رضي الله عنه قد أسلم في مكّة بلا جدال، وكان على ما هو معروف في العام الخامس من عُمْرِ الدعوة.

كذلك فإنّ عددًا من الضوابط التي تميَّز الوحي المكّي متحقق في هذه السورة، فقد قال علماء القرآن إنّ كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكّية سوى سورة البقرة، وكلّ سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكّية سوى البقرة كذلك.

وكلّ سورة تفتتح بحروف التهجّي فهي مكيّة سوى البقرة وآل عمران[1].

ترتيبها وعدد آياتها وحروفها:

يأتي ترتيبها في المُصحف بين السوَّر في المرتبة العشرين(20).

وكلماتها ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون "1341 كلمة"[2].

وحروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون "5242 حرفا" وآياتها في المصاحف المعتمدة اليوم هو خمس وثلاثون ومائة "135 آية".

---

[1] إبراهيم عوض، سورة طه، **دراسة أسلوبية لغوية مقارنة**، الطائف، 1413ه-1993م، ص 05.

[2] **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، للفيروزآبادي، ج1، ص 310.

سبب النُّزول:

أحدها: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان يُراوح بين قدميه.

يقوم على رِجْل. حتى نزلت هذه الآية. قال "علي" رضي الله عنه.

الثاني: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لمّا نزل عليه القرآن صلّى هو وأصحابه فأطال القيام، فقالت قريش: "ماأنزل اللّه هذا القرآن على محمَّدٍ إلاَّ ليشقى. فنزلت هذه الآية، قاله الضحّاك.

الثالث: أنّ أبا جهل، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدّي، قالوا لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إنَّك لتشقى بترك ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل[1].

هدف سورة طه:

الإسلام سعادة لا شقاء قال الله تعالى: "**طه(1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)**"[2].

وكأنّما سبحانه يُريد أن يُطمئن رسوله صلى الله عليه وسلم وأمّته من بعده أنّ هذا المنهج لم يأت حتى يشقى النّاس به، إنّما هو منهج يضمن السعادة لِمن تبعه وَطَبَّقَه.

[1] زاد الميسر في علم التفسير، لابي الفرج ابن الجوزي، ج5، ص 268، 269.

الفصل الثاني: النظريات الحجاجية

المبحث الأول: نظرية الحِجَاج الجدلي

المبحث الثاني: نظرية الحِجَاج البلاغي

المبحث الثالث: نظرية الحِجَاج اللّغوي أو اللّساني

المبحث الرابع: نظرية الحِجَاج الخَطابي

أهم النَّظريات الحِجاجية:

نظرية الحِجَاج

الجدلي: يُراد بالجدل أو الديَالِيكتيك (Dialectique) الجدل أو المُحاورة أو استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع ما. أي: إنَّ الجدل هو تبادل الحجج والأفكار وتبادل وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة، أو هو ذلك الجدال بين طرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة، ويكون غالبا تحت لواء المنطق أو اللّوغوس أو مقاييس الاستدلال....[1].

وقد يكون الجدل كمّيًا أو كيفيًا ويقوم بدور كبير في تغيير المجتمعات الإنسانية، ويتحكم بشكل من الأشكال في تاريخ صيرورة الطبقات الاجتماعية، وقد أصبح الجدل في الفكر الفلسفي الحديث دالاً على كلّ التناقضات المادية التي تعرفها المجتمعات الإنسانية، كما يؤثر أيضًا على الدينامكية والحركية والتغيير.

ويمكن القول بأنّ الحجاج الجدلي هو الأقدم في تاريخ الإنسان.

حيث تحتفل الكتب السماوية بالأخبار الدينية وقصص الرسل والأنبياء التي تتضمن الحجاج الجدلي، سيما الجدل الذي تتعارض عبره الهداية والضلال أو الحق والباطل، أو التوحيد والشرك وكان أغلب الرُسُل والأنبياء يجادلون قومهم بالَّتي هي أحسن، كما

[1] جميل حمداوي، **من الحجاج إلى ابلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق 2014 م، المغرب، ص11، ص12.

فعل نوح وعيسى وموسى وصالح وهود وإبراهيم ومحمد- صلوات اللّه عليهم جميعًا- مع أقوامهم[1].

نظرية الحِجَاج البلاغي: (الأرسطيون الجدد).

وقد عبّر العنوان الفرعي "البلاغة الجديدة" لكتاب بيرلمان "مُصَنَّف في الحِجَاج" عن هذا التوجّه العام الذي يَرومُ فعل البلاغة علمًا مستقبليًا أهدافه تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خُططها الحِجاجية المتأسسة عليها. وهي أهداف تحقق أيضًا التوجه إلى آفاق القُرّاء وحُجَجهم من جهة، والتخلّي عن النزعة المعيارية من جهة ثانية[2].

لقد تأسّس المبحث الحجاجي المرتبط بالبلاغة على دراسة الإقناع وآلياته مركزًا على خلفية فلسفية تقوم على مبدأ النسبية العام.

لا تُوجد حقيقة مُطلقة لأنّ الهدف من الخطاب النجاعة وليس الحقيقة، ولكن نَمَا تاريخ البلاغة فيما بعد نحو تقلّص البعد الفلسفي التداولي وتوسع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الأساس لها[3].

إنَّ دراسة الحِجَاج بوصفه جزءا من "البلاغة" القديمة، كان مَحَطَّ اهتمامٍ من قبل الفلاسفة من جهة، ومن قبل دارسي الأدب المهتمين باللّغة من جهة ثانية. وكان

[1] المرجع نفسه، ص12.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ط1، ص 102.

[3] محمد العمري، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005م، ص12.

الفلاسفة قد تَبنُّوا مَوقفًا غامضًا من الحجاج، فهم يتساءلون على نحو تقليدي: هل ينطوي الحجاج على آليات تُمكّن بلوغ الحقيقة وإثبات الباطل؟ إنّ رفض الحجاج وخصوصًا من قبل ديكارت ومن قبل التراث العقلي الذي يستلهمه، يرتدّ إلى الإجابة بالنَّفي عن هذا السؤال المطروح[1].

ومن هنا فالمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصُّوّر الفنية والمحسنات البديعية، ويُمكن اعتبارها أيضًا بلاغة أرسطية جديدة، ما دام بيرلمان وتيتيكا قد اشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها، لكن في ضوء رؤيةٍ جديدة.

هذا وقد ارتبطت أفكار بيرلمان بالقانون والفلسفة والحجاج والبلاغة، وانتشرت في فرنسا في سنوات التّسعين... ومن ثم فالحجاج ودوره البلاغي هو أساس نظريته الجديدة، كما تتأسس نظريته على قراءة النّصوص قراءة بلاغية على أساس الحوار لا على أساس الظن والتّخمين والوهم...ولقد أصبحت البلاغة مع الأرسطيين الجدد أدة إجرائية مهمّة في حقل الفلسفة، بعد أن كانت مقصية ومُهمّشة في هذا المضمار المعرفي ...[2].

ومن أهم أفكار بيرلمان أنّه يَعتبر الإقناع الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير. وفي هذا السياق يقول بيرلمان: " نقصد بالحجاج المؤثر ذلك الموجَّه إلى مُستَمعٍ

[1] فيليب بروطون، **الحجاج في التواصل**، تر، محمد مشبال و عبد الواحد التهامي العلمي، ط1، 2013م، ص23.

[2] جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق 2014م، المغرب، ص29، ص30.

خاص، وبالإقناعي المصوّب نحو كائن عاقل، فالفرق دقيق، ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسًا[1].

ومن أفكاره الأخرى أنّ الصّور البلاغية ليست صُوَرًا فنية وجمالية وتزينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز.

ويترتب على هذا أنَّ الإستعارة حجاجية وإقناعية ليس إلاّ. وفي هذا الإطار يقول بيرلمان: "تُعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير، إذا بدا استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض، أمّا إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، فإن الصورة ستصبح مُحسنًا بديعيًا، لا تعدو أن تغدو مبحث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب".

وأكثر من هذا، فقد تصبح الصُوَر البلاغية والمحسنات البديعية من التقنيات الحجاجية التي تُستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير أو لاستجلاب موافقته ورضاه[2].

هذا ويعد الحجاج عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي:

المرسل والرسالة والسامع، ويُعد الغير السامع أهم من المتكلم الخطيب، لأنّ الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر ومحاججته برهانيًا وعقلانيًا عبر مجموعة من

---

[1] Chaïm Perelman, Lucie O- Tyteca, **Traité de l'argumentation p**. **u** de France. Paris. P36.

[2] جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق 2014م، المغرب، ص31.

المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة والحل الراجح، واستكشاف ردود فعل المخاطَب تجاه الحجاج[1].

وتبقى أهمّ سِمة وَسَمت خطابة (بلاغة) بيرلمان توكيد أهمية المتلقي الذي لم يعد سلبيًا. بل أصبح متلقيا فاعلاً... صحيح أن المتلقي كان حاضرًا في البلاغة القديمة أيضًا، لكن المتلقي في الخطابة (البلاغة) الجديدة لم يعد – كما كانت الحال في الخطابة القديمة – سلبيًا يقتصر دوره على التلقي، وإنّما أصبح متلقيًا إيجابيًا يتلقى ما يتلقاه ويُفكر فيه، ثم يَرُدُ ويناقش ويفند ويدعم، ومن جهة ثانية، فإنّ المتلقي في الخطابة القديمة بحكم سلبيته كان في درجةٍ أدنى من درجة الخطيب، ومن ثم كان يتلقى الخَطابة من عَلِ، **فالعلاقة بينهما رأسية**، أمّا المتلقي في الخطابة الجديدة فهو بحكم إيجابيته يقف في درجة موازية لدرجة المُرسِل في علاقةٍ موازية، **فالعلاقة بينهما أفقية.**

وباختصار شديد، فإن الغلبة أو الإقناع في الخطابة (البلاغة) الجديدة لا يتأتى لمن يمتلك سحر الخطابة (البلاغة) فقط ، بل لمن يملك إلى جانب ذلك، فن الجدال وقوة الإقناع والتأثير وسلطة الحجاج[2].

[1] المرجع نفسه، ص31.

[2] حافظ إسماعيل علوي، **الحجاج مفهومه ومجالاته**، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، ط1، 1431ه-2010م، ص10.

نظرية الحجاج اللّغوي أو اللّساني:

ترى كلّ التصورات القديمة والكلاسيكية في الحجاج تقنية واعية تتجسّم في برمجة التنسيقات الخطابيّة، أمّا نظرية الحجاج في اللّغة التي جاء بها أنسكومبر(J.C) **Anscombre** أوزوالد ديكرو(**O. Ducrot**) منذ منتصف السبعينيات، فتهدف إلى تحقيق أغراض مختلفة، وقد وُضعت هذه النظرية في إطار لسانيات الجملة، وذلك بمقتضى قضاياها وأغراضها. وفي مثل هذا المنظور أُعيد تحديد مفهومي الحجّة والحجَاج تحديدًا جذريًا إلى درجة أنّهما أصبحا من بعض الجوانب الأساسيّة، مختلفين عن المفاهيم الكلاسيكية بل صارا متناقضين معها[1].

تهدف نظرية الحجاج اللّغوي أو اللّساني "**L'argumentation dans la langue**" التي وضعها كلّ من أنسكومبر(**J.C Anscombre**)،و أزوالد ديكرو(**O. Ducrot**) إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللّغة، ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي« أننا نتكلم عامة بقصد التأثير» [2]. أي: تحمل اللّغة في طَيَّاتِها بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيًا، وحرفيًا، وتركيبًا، ودلاليًا. ومن ثم« تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللّغة أي: القواعد

[1] كريستيان بلانتان، **الحِجاج**، تر، عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، تونس، 2010م، ص116.

[2] جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق 2014م، المغرب، ص29، ص35.

الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل مُتَنَام وتدريجي. وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب»[1].

ويرى " فان إيمرين"و"غروتندورس" أنّ الأفعال اللّغوية تُسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كلٌّ منها بدور محدّد في الحِجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال[2] .

يرتبط الحجاج ارتباطًا عميقًا باللّغة البشرية، وهو إحدى إمكاناتها الكبرى، وينبغي لكلّ ثقافة أيضًا أن تُسند له مكانة لأجل أن تتمكن هذه الطاقة اللّغوية من النّمو[3]. غير أنّ الحِجاج يُمثل مجالاً من النشاط اللّغوي الذي شَدَّ إليه الأنظار على مرّ الأيّام منذ بلاغة القدامى الذين جعلوا منه الأساس ذاته للعلاقات الاجتماعية (فنّ الإقناع) حتى يومنا هذا حيث أصبح من جديد أسلوب العصر، لسببِ ذلك مثّل مصطلح (حجاج) موضوعا تأسّس عليه عددّ كبير من المفاهيم ممّا جعل دراسة هذه الظاهرة اللّغوية وتقديمها أمرًا من العسر بمكان[4]...

فمنذ القديم جعل اليونان من الحجاج موضوعهم الأثير وقد أحلّوه من البلاغة محَلاًّ رفيعًا، وهذه الآلة العجيبة التي تُغري وتُقنع في آنٍ هي «فن الكلام»[5].

---

[1] أبو بكر العزاوي، **اللّغة والحجاج**، العمدة في الطبع الدار البيضاء، ط1، 1426ه، 2006م، ص8.

[2] عبد الهادي ابن ظافر الشهري، **آليات الحجاج وأدواته**، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته)، ج1، ص 83.

[3] فيليب بروطون، **الحجاج في التواصل**، تر، محمد مشبال و عبد الواحد التهامي العلمي، ط1، 2013م، ص31.

[4] باتريك شارودو، **الحِجَاج بين النظرية والأسلوب**، تر،أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2009م، ص6.

[5] المرجع نفسه، ص07.

وعليه تندرج نظرية الحجاج اللّغوي ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى... ويُنضَاف إلى ذلك، أنّ وظيفة اللّغة الأساسية ليست هي الوظيفة التواصلية الإخبارية، بل هي الوظيفة الحجاجية [1]. ويعني هذا أنّ الوظيفة التواصلية وظيفة ثانوية ليس إلاّ.

وهذا يعني أنّ الأقوال اللّغوية تحمل في جوهرها مُؤشرات لسانية ذاتية تدلُّ على طابعها الحجَاجي، دون أن يكون ذلك متعلقًا بالسياق التداولي الخارجي[2].

وإذا قلنا: المغاربة أفارقة.

زيد مغربي

إذًا زيد إفريقي.

فهذا برهان أو قياس منطقي حتمي ضروري.

أمّا إذا قلنا: انخفضت درجة البرودة.

إذًا سيمرض زيد.

فهذا حجاج أو استدلال طبيعي غير برهاني، ويعني هذا أنّ اللّغة الإنسانية لُغة حجاجية ومنطقية من داخل بنيتها اللّغوية الداخلية، كما أنّ الحجاج يتميز عن البرهان أو الاستدلال المنطقي بكونه يتأسس على بنية الأقوال اللّغوية وتسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.

---

[1] جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق 2014م، المغرب، ص35

[2] المرجع نفسه، ص36.

وتتميز الاستعارة الحجاجية برغبة المتكلم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرًا أو إقناعًا، أمّا الاستعارة البديعية أو الجمالية، فلا يُقصد بها الحِجَاج أو الإقناع، بل هي وسيلة لغوية جمالية تُراد لذاتها ليس إلاّ[1].

وتعتمد منهجية "ديكرو" على وصف الشواهد اللّغوية أو النّصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية تركيبًا ودلالةً وتداولاً. من خلال[2] التركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية، مثل: الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والمبادئ والعلاقات الحجاجية، والاستعارة الحجاجية التي تشير إلى أنَّ الأقوال الاستعارية أعلى حجاجية من الأقوال العادية[3].

نظرية الحجاج الخطابي:

لقد ارتبطت نظرية الحجاج الخطابي أو الخطاب الحجاجي أو الحجاج في الخطاب بمجموعة من المنظرين والدارسين الحجاجين، لاسيما أموسي وميشال ماير، وموشلر، ودومينيك مانكونو.

ويهدف هذا الخطاب إلى استعراض الآليات التي يشتغل بها الحجاج في خطاب ما، سواء أكان هذا الخطاب سياسيًا أم فلسفيا أم إشهاريا أم قضائيًا[4].

[1] المرجع نفسه، ص42.
[2] المرجع نفسه، ص42.
[3] المرجع نفسه، ص43.
[4] المرجع نفسه، ص43.

وأمَّا الحِجَاج الخطابي فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب الخطابة وهو حجاج مُوجّهٌ إلى جمهور ذي أوضاع خاصّة، في مقامات خاصّة، والحجاج ها هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي وإنّما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات والى إرضاء الجمهور و استمالته ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع على نحو تبدو معه الخطابة من قبيل التخييل[1].

نجاح الخطاب أو فشله رهين بالمسافة الفاصلة بين المخاطَب الواقعي والمخاطَب المتخيّل أي المسافة الفاصلة بين الصورة المتخيلة وبين الواقع هي التي تحدد فعالية الخطاب. وإذا كانت المسافة كبيرة. فإن مآل مشروع الإقناع هو الفشل، وكلّما كانت الصورة المتخيلة أقرب من الواقع إلاّ وكانت عنصرًا حاسمًا في التواصل والإقناع.

لا يعني المخاطَب المتخيّل أن المخاطَب من صنع الخيال، بل يعني أن المتكلم قبل أن يواجه المخاطَب الواقعي بخطابه يكون قد استطاع أن يكوّن عن المخاطَب الواقعي تمثلاً ذهنيًا وصورة متخيلة انطلاقًا من معطيات سياقية تخصّ المخاطَب الواقعي[2].

وبعبارة أخرى، فالمعطيات السياقية التي تتصل بالمخاطب في الواقع المادي تتحول إلى صورة وتمثلات يُنشئها المتكلم عن المخاطَب.

وهي معطيات سياقية متعددة ومتنافرة بحسب طبيعة المخاطب وهويته وانتمائه الاجتماعي اللّغوي والثقافي، وبحسب كفاياته الذهنية والتخييلية فالمخاطب الواقعي

[1] عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2001م، ص18.

[2] حسن المودن، **دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي**، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص 235.

عنصر متغيّر يُحدده المتكلم عنّدما يختاره هدفًا لمشروع الإقناع والتأثير، أي أنّ المسألة التي ينبغي أن يعالجها المتكلم مسبقًا قبل إنتاج الخطاب هي:

من يكون المخاطَب الذي سيتوجه إليه بالخطاب[1].

أوّل ما ينبغي أن يحدده المتكلم ويأخذه بعين الإعتبار قبل بناء خطابه هو نوعية مخاطَبه، أي هويته السوسيو – ثقافية.

ونجد البلاغي يتحدث عن نوعين أساسين من المخاطَبين، يسمى الأوّل العامّة أو العوام، والثاني الخاصّة أو الخواص. فالجاحظ يقول إن الخطاب يكون«على قدر المستعملين، ومن يحضره من العوامّ والخواصّ »[2]

إنَّ من يرمي بخطابه إلى التأثير ينبغي عليه أن يحرص على عدم إضاعة وقته، وعلى عدم تشتيت انتباه سامعيه، ومن أجل ذلك وجب عليه أن يولي كلّ قسم من أقسام كلامه الأهميّة التي يريدها في أذهان سامعيه[3].

فلا يعرض من المقدّمات ما هو معلوم لدى السامعين. فقد يبدو ذلك ثقيلاً على أنفسهم[4].

ومن طرائق العرض الحجاجيّة اعتماد أسلوب يكون بطيئًا لا عجولاً (وقد فهمنا البُطء ههنا بمعنى الإطناب والترديد والعجلّ بمعنى الإيجاز). ذلك أنّ الأسلوب العَجل

[1] المرجع نفسه، ص236.
[2] المرجع نفسه، ص237.
[3] عبد الله صولة، **في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات**، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، ص 24.
[4] المرجع نفسه، ص34.

يدعم توجّه الخطاب الاستدلاليّ، والأسلوب البطيء يحدث لدى سامعيه الانفعال، ويُحرك عواطفهم (وهذا لعمري عكس المتداول، فالمتداول في شأن الأسلوب القرآني مثلاً أنّ العجول الموجز منه كان خصيص القرآن المكيّ، وجاء لتحريك العواطف، في حين كان الطّول والإبطاء من خصائص القرآن المدني لقيامه على الاستدلال ومقارعة بني إسرائيل بالحجّة. ولكن ربّما كان للبطء والعجلة عند المؤلفين معنى آخر)[1].

ومن طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًا اعتماد التكرار لإبراز شدّة حضور الفكرة المقصودة إيصالها والتأثير بها. وكذلك التشّديد على بعض المقاطع أي الخطاب من خلال الصوت. أو من خلال الصمّت الذي يسبق أدائها. ومن طرائق العرض ذات الأثر الحجاجي أيضًا كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول موضوع واحد.

إذن فالخطاب يُنجز بالكلام ويتحقق في أشكال مختلفة منها المخاطب فهو أخصّ من الأوّل أعمّ من الثاني[2].

يتم تلقي الخطاب باعتباره إجراء عندما لانشعر بأنّه منبثق من موضوعه، فالمستمع عندما يتجاوب مع الخطيب في احترام القيم الممجدة والإعجاب بها يندر أن يحكم عليه باعتباره مستخدم إجراء بليغ. لكن من لا تعنيهم هذه القيم لن يروه بنفس الطريقة.

وكثيرًا ما يعلق المستمعون: «إنها كلمات فحسب! »لإدانة الآخر.

---

[1] المرجع نفسه، ص35.

[2] حمادي صمود، **مقالات في تحليل الخطاب**، كلية الآب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2008م، ص25.

لِمَا يبدو في خطابهم من فراغ وخلو من القيم التي يعتدّون بها[1].

وبصفة عامة ينتهي«بيرلمان» (**perelman**) على القول بأنه لا يوجد أدب بدون بلاغة، على أن نفهم من هذا المصطلح فن التعبير، لكن أدوات هذا الفن تُفقد فعاليتها بقدر ما يتم تلقيها باعتبارها مجرد إجراءات بلاغية. فالقيمة البرهانية لا تتعرض للإهدار ما دام منتج الخطاب يعطي إيحاءاً قويًا عن نفسه وعن الأشياء، ويقدم لهما صورة لا تُحمل المستمع على الفصل بين الإجراء والواقع. وقد تكون علامات الارتباك والصدق مفيدة لتفادي هذا الفصل. وكلّ مظاهر النقص التي قد تبدو ضارة للوهلة الأولى بالنسبة للتأثير البرهاني يمكن أن تصبح مفيدة له، وفي مقدمتها دلائل الارتجال والعفوية الصادقة[2].

[1] صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، عالم المعرفة، الكويت، جانفي 1978م، ص11.
[2] المرجع نفسه، ص12.

الفصل الثالث

المبحث الأول: آلية التَّشبيه الحِجَاجي ودوره في إيضاح المعنى في سورة طه.

آلية التَّشبيه الحِجَاجي ودوره في إيضاح المعنى في سورة طه.

يحمل أسلوب التَّشبيه شحنةً حجاجية إقناعية أكثر منها جمالية تُعنى بزخرفة الألفاظ وتقريب المعاني، فلذّة القارىء لا تكون في العبارات السطحية، المتعارف عليها، وإنّما في العبارات المتّسعة بالغُموض الذي يدفع القارىء إلى محاورة هذه الصورة، والإقتناع بحجج القائل في تعبيره ولو كان الأمر عكس ما نفعل لا كتفى السائل أبي عبيدة بن المثنى البلاغي (ت:208ه) بالتأويل السطحي للآية الكريمة" طَلْعُهَا كَأَنّهُ رُءُوسُ الشّيَاطِينِ" لكنّه حاورها قصد تبيان حجّتها فقال «إنّما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم يُعرف. فقال أبو عبيدة: «إنما كلّم اللّه العرب على قدر كلامهم [1]» .

والتَّشبيه القرآني من أهم وسائل الحجاج في الإقناع فهو يوصل الفكرة بصورة واضحة جليّة خالية من الشوائب. ويدرك المخاطَب المقصود من خلال معرفة العلاقة بين المشبَّه والمشبَّه به.

إنّ الحجاج بواسطة الصّورة في القرآن الكريم مداره في رأينا على مادة الصّورة من ناحية وعلى شكل الصّورة من ناحية أخرى.

ونعني بمادة الصّورة في القرآن مضمونها الذي يُعتمد فيه لغاية الإقناع[2].

وبياناً لذلك لدينا بعض الآيات من سورة طه نقوم بتحليلها.

---

[1] أحمد تركي، **حجاجية التشبيه عند النقاد القُدماء**، اتحاد الكتاب العرب، مج 32، ص132، ص133.

[2] عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2001م، ص496.

الآية الأولى: "قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ " طه. 84.

التحليل:

نوع التَّشبيه: تشبيه ضمني.

المشبّه: اتباعهم لموسى في مشيه.

المشبَّه به: اتباع الأثر.

أداة التَّشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: السرعة والموالاة.

غرض التشبيه: تزيين المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

""قَالَ هُمْ أُولَاءِ" أي بنُو إسرائيل يأتون خلفي[1].

"قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي " أي قومي قريبون منّي لم أتقدمهم إلاّ بشيء يسير وهم يأتون بعدي[2].

والأثَر- بفتحتين – ما يتركه الماشي على الأرض من علامات قدَم أو حافر أو خُفّ. فمعنى قولهم: جاء على إثره، جاء موالِيًا له بقرب مجيئه، شبّه الجائي الموالي بالّذي يمشي على علامات أقدام مَن مشى قبله قبل أن يتغيّر ذلك الأثر بأقدام أخرى، ووجه الشبه هو موالاته وأنّه لم يسبقه غيره.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، ج16، تونس، 1984م، ص278.

[2] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417ه، 1997م، ج1، ص822.

والمعنى: هم أو أولاء سائرون على مواقع أقدامي، أي موالون لي في الوصول. ومنه قول النّبيء – صلى الله عليه وسلم–« وأنا الحاشر الذي يُحشر النّاس على قدَمِي[1]».

أثر التَّشبيه في بيان معنى الآية:

يظهر هذا التَّشبيه حرص موسى عليه السلام الشديد على رضا الله سبحانه، فقد آثر عليه السلام الاستعجال لميقات ربه، فهو موعد وأيّ موعد، إنّه موعد مع ملك الملوك، مع الرحمان الرحيم، فخلَّف وراء ظهره الدنيا وما فيها وجاء يسابق ويعاجل وحجّته في ذلك بلوغ رضا الله سبحانه وتعالى.

لقد غمر الفرح قلب موسى فتولى عن قومه، فالوقت معهم مهدور والعمر معهم مضيعة والربح كلّ الربح في لقاء الله وطلب رضاه.

ومن أعجب فوائد هذا التَّشبيه بيان ما يتحلى به الأنبياء عليهم السلام من رحمة بأممهم وشفقة عليهم، كما لم ينسى موسى عليه السلام أن يعتذر لقومه، بل قدم اعتذاره عنهم على الإخبار عن سبب استعجاله وهذا قمّة في الرحمة بالأمة والنّصح لها والشفقة عليها.

وليس ذلك فحسب وإنّما شبّه قربهم من اتباعه بالذي يتبع الأثر وكأنّه القدم التي توضع في أثر القدم التي سبقتها قبل أن يغطي أثرها التراب وحجّته في ذلك خوفاً على قومه أن ينالهم سخطه سبحانه فيحق عليهم عذابه.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، ج16، تونس، 1984م، ص278، 279.

احتج موسى في سبب إسراعه قبل هذا الشوق إلى مناجاة الله ابتغاءً لرضى الله[1].

الآية الثانية: "قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ" طه.87.

التحليل:

نوع التَّشبيه: تشبيه مرسل في قوله تعالى: "فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ"

المشبه: إلقاء السامريّ ما بيده من النّار ليذوب ويصوغها فأخرج لهم من ذلك عجلاً جسدًا، والمقصود من هذا التَّشبيه التخلّص الى قصة صوغ العجل الذي عبدوه[2].

المشبه به: إلقائهم ما بأيديهم من زينة القوم.

أداة التَّشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإلقاء .

غرض التَّشبيه: بيان حال المشبه

تفسير الآية الكريمة:

"قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا" أي لم نتعمد إخلاف موعدك بقُدرَتنا أو أمرنا أو ليست العلّي التي ألقيناها مما نملك.

"وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا" أي أثقالاً.

"مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ" أي حُلّي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل وابقوا عليها معهم.

---

[1] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417ه، 1997م، ج1، ص823.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، ج16، تونس، 1984م، ص285.

"فَقَذَفْنَاهَا" أي ألقيناها في النّار بأمر من السامريّ.

"فَكَذَٰلِكَ" أي كما ألقينا.

"أَلْقَى السَّامِرِيُّ" ألقى ما معه من حُليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام.

ألقى ما معه من حُليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام.

والمعنى: فمثل ذلك القذف الذي قذفنا ما بأيدينا من زينة القوم ألقى السامريّ مابيده من النّار ليّذوب ويصوغها فأخرج لهم من ذلك عجلاً جسدًا، فإنّ فِعْلَ « أَلقَى » يحكي حالة مشبهة بحالة قَذفهم مَصُوغَ وحُليّ آل فرعون. والقذف والإلقاء مترادفان شبّه أحدهما بالآخر.

أثر التَّشبيه في بيان معنى الآية:

حاول بنو إسرائيل في هذا التَّشبيه تقديم حجَّتهم والاعتذار إلى موسى ممَّا فعلوه في غيبته من عبادتهم للعجل، فَعَزُوا ذلك إلى أنَّ السامري قد غَرَّرَ بهم حين أمرهم بإلقاء الحلّي ثم ألقى ما لديه من حلّي وأثر تراب فرس جبريل عليه السلام وإيقاده النّار عليها حتى صارت عجلاً.

فأرادوا أن يقنعوا موسى عليه السلام وينسلخوا من فعلتهم، ويُلقوا بفعلتهم هذه على السامريّ من باب التَّشبيه. "فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ"

ولهم حُجّة أخرى في قولهم "حُمِّلْنَا" ليظهروا بمظهر البريء المغلوب على أمره.

الآية الثالثة: "قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" طه.96.

التحليل:

نوع التَّشبيه: تشبيه مرسل مُجمل ذكرت أداته دون وجه الشبه.

المشبه: التسويل والتَّشبيه في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" تشبيه الشيء بنفسه كقوله تعالى "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" أي كذلك التسويل سولت لي نفسي، أي تسويلاً لا يقبل التعريف بأكثر من ذلك[1].

المشبه به: التسويل نفسه أو طلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلاها كما للمشركين آلهة. أداة التَّشبيه: الكاف.

وَجه الشَبه: التزيين.

غرض التشبيه: تقبيح المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

"قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ" أي رأيتُ جبريل حين جاء لهلاك فرعون. "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ" أي: من أثر فَرسه.

وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم[2].

"وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي"

---

[1] المرجع نفسه، ص 297.

[2] **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، دار الإمام مالك، باب الواد، الجزائر، 1434ه، 2013م، ص238.

أي: وكذلك حَسَّنَتْ وزَيَّنتْ لي نفسي[1].

أثر التَّشبيه في بيان معنى الآية:

بعد الحجّة التي قدمّها قوم موسى في اعتذارهم له. ومحاولة تبرير موقفهم، جاء دور السامريّ هنا ليقدم حجّته ويُبرىء نفسه، ويجيب على السؤال الذي وجهه إليه موسى عليه السلام قَالَ "فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ" طه. 95.

حيث لم يجد بُدًا من الاعتراف بفعلته والإقرار بأن ذلك من تزيين نفسه.

ومن آثار هذا التَّشبيه: بيان عاقبة من يتبع نفسه هواها وما تأمره به من الباطل، فالغالب أنّها لا تحث على طاعة ولكنّها إنّما تأمر بالسوء والفحشاء.

ومن آثار حجاجية هذا التَّشبيه: قولُه "سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" يُفهم أنّ بإمكان العبد أن يصمد أمام ما تسوّل له نفسه الأمارة بالسوء.

ولكن لا يقدر على ذلك إلاّ مُؤمن حصيف، كيّسٌ وفطن مُدركُ لعواقب الأمور فلا حجّة له بعد ذلك في شيء.

وممّا ينسب للشافعي:

إذا حارَ أمرُكَ في مَعْنَيَيْن

ولم تدرِ حيثُ الخطأ والصوابُ

فخَالِفْ هَوَاكَ فإنّ الهوَى

[1] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417ه، 1997م، ج1، ص27، 28.

يقودُ النُّفوسَ إلى ما يُعابُ

ومن آثار التَّشبيه أنَّ في كلام السامريّ أنّه هو المعني والمعلوم الأول فقد أثبت الحجّة على نفسه. فكلّ مفردات هذه الآية قد وردت بصيغة المتكلم المفرد: (بصُرت، فقبضت، فنبذتها، سولت لي نفسي).

ومن آثار التَّشبيه كذلك أنّه ما من ذنب إلاّ ويُغتفر وما من زلّة إلاّ وتحتمل إلاّ الشرك. فلا حجّة لأحد في الشرك حتى وإن أُوتي العلم.

الآية الرابعة:

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا" طه. 99.

التحليل:

نوع التَّشبه: تشبيه مرسل مجمل ذكرت فيه الأداة دون وجه الشبه.

المشبه: قص أنباء الأمم السابقة.

والتَّشبيه راجع إلى تشبيهها بنفسها كناية عن كونها إذا أريد تشبيهها وتقريبها بما هو أعرف منها في بابها لم يجد مُريد ذلك طريقًا لنفسه في التَّشبيه إلاّ أن يشبهها بنفسها[1].

المشبّه به: قصّ هذا النبأ الغريب.

أداة التَّشبيه: الكاف.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، ج16، تونس، 1984م، ص302.

وجه الشبه: الإخبار بأمور غيبية.

غرض التَّشبيه: بيان إمكان المشبه.

تفسير الآية الكريمة:

"كَذَٰلِكَ" فيقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده..... كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص[1]."وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا" أي من عندنا.

"ذِكْرًا" وهو القرآن العظيم.

أثر التَّشبيه في بيان معنى الآية:

يَمنُن الله عزَّ وجلَّ على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بمنته ويذكره بنعمته وذلك بإخباره عن قصص الماضين وتذكيره حين قَصَّ عليه قصة موسى وفرعون وما لقي موسى عليه السلام من قومه من تعنت وبهتان.

والغرض من ذلك ومثله قصص باقي الأنبياء هو زيادة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لما يلقاه من أذى قومه، وتذّكيره بأن العاقبة الحسنة لأنبياءه وللمؤمنين. وفي التَّشبيه حُجّة في بيان آياته صلى الله عليه وسلم، فكيف عَرَفَ هذه الأخبار وهو بعيد عن الأمم السابقة، فليس لهم بذلك أدنى علم كما قال سبحانه وتعالى: "تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"

[1] **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، دار الإمام مالك، باب الواد، الجزائر، 1434ه، 2013م، ص233.

هود.49. فهذا التَّشبيه علاوة على كونه سببًا في تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله سبحانه وتعالى: "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ " هود. 12. فهو دلالة وحجّة على الكافرين بصدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

إذا من زاوية نظر حجاجية، استخدام الصورة في القرآن الكريم كان في أحيان كثيرة حسمًا للعناد الذي كان من العرب إزاء الأطروحات التي جاء بها القرآن يعرضها عليهم ويدعوهم إليها[1].

فالصورة أو البيان في القرآن مُخرج على ما يعتقد العرب ويتخيلون فحسب، وإنّما هو مخرج أيضًا على ما هو حقيقة عقلية ودافع عملي عندهم، فمن الواقع العملي في حياتهم جيء بالمادة التصويرية لتكون شأن المادة التصويرية المستمدة **من معتقداتهم ومخيلتهم** ذات غاية إقناعية وتأثيرية[2].

[1] عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2001م، ص500.
[2] المرجع نفسه، ص501.

الخـــاتمـــــة

خاتمة:

مما اعتمدنا عليه في بحثنا هذا وخَلُصنا إليه هو الكشف عن دور التَّشبيه الحِجَاجي في الخطاب القرآني ومساهمته في الإقناع، وهذا من خلال عظمة القرآن في انتقاء الألفاظ وانسجامها ودقّتها في تأدية وتوصيل المعنى.

إذ كان هَمُّنا لا البحث في مدى نحويّة الخطاب القرآني بل البحث في مدى تأثيره وإقناعه، وكانت كتب التفسير هي سندنا في معظم الأحيان.

كما ألقت الدراسة الضوء على جهود أصحاب البلاغة الجديدة في بعث البلاغة القديمة وربطها بالبعد الحجاجي في الخطاب وذلك بالتركيز على التقنيات الموظفة لإحداث الإقناع، دون صرف النّظر عن جهود أصحاب نظرية الحجاج في اللّغة وعلى رأسهم "أبو بكر العزاوي" وما قدموه من تحليلات للعملية الحجاجية ومقومات اشتغالها في الخطاب.

كما كان لأصحاب نظرية الحجاج الخطابي إسهامات في تعميق النّظر في الحجاج وربطه بمقتضيات السياق والمقام.

ولا شك أنّ ثمار التفكر في تفسير كتاب الله كثيرة، وأنّ المؤمن لا يزال يترقى في تفكّره في كتاب الله حتى يطلعه الله على ما يشاء من أسرار ولطائف تتبهر أمامها الأذهان ، و ان من تلكم اللطائف ما حوى كتاب ربّنا عزّوجل من تشبيهات تدهش العقول وتحرك القلوب.

فَحَاش لله أن تكون هذه التشبيهات قد جاءت بلا فائدة، وحَاشَ لله أن تكون صورًا بلاغية للتحسين اللّفظي فقط، وإنّما الحكمة في ذلك عظيمة.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها هي:

- الخطاب القرآني زاخرٌ باستراتيجيات تخدم مُقومات الحجاج والإقناع.

- التَّشبيه لون من ألوان البديع والتعبير الجميل الذي يهواه ُالبشر.

وقد أضفى على آيات السورة إقناعًا بتوصيل الفكرة بصورة واضحة خالية من النّقص، وذلك بربط بين المشبه والمشبه به. وعليه يُعدُّ التَّشبيه آلية حجاجية في نقل المشاهد غير المرئية إلى مشاهد حسيّة ومرئية.

- الحجاج القرآني يتيح للإنسان أن يشغل مَلَكَة عقله للتفكير والنقاش.

- هناك علاقة واضحة بين الحجاج والبلاغة فكلاهما يهدف إلى التأثير والإقناع.

- التمثيل كلّ تعبير بلاغي يجمع بين المتعة والفائدة أو بين التخييل والحجاج حيث يقول الجرجاني في ذلك "إنّ التمثيل إذا كان في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، نُقلت عن صُوَرِهَا الأصلية إلى صورته، كساها أبهه... وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها"

يعد الخطاب القرآني خطابا حجاجيا إقناعيا في كثير من آياته؛ لأن الغرض من إنزاله هو هداية الناس، وإقناعهم بمزايا الدين الإسلامي .

استخدم الخطاب القرآني في الحجاج العديد من الوسائل، ومن بين هذه الوسائل الحجاج بضرب الأمثال والتشبيه.

نالت وسيلة الحجاج بضرب الأمثال نصيبا وافرا في الخطاب القرآني.

استخدم القرآن الكريم الحجاج بضرب الأمثال في التدليل على وجود الله تعالى وبطلان الأصنام و أحقية دعوة الأنبياء عليهم السلام .

وبعد كلّ هذا. لم يبق لنا سوى الدعاء من أجل أن ينجح هذا العمل.

والحمد لله ربّ العالمين.

***** والله أعلم وله الحمد من قبل ومن بعد*****

قائمـــة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1-إبراهيم عوض، سورة طه، **دراسة أسلوبية لغوية مقارنة**، الطائف، 1413ه-1993م.

2-ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، دار الإمام مالك، باب الواد، الجزائر، 1434ه، 2013م.

3-ابن منظور، **لسان العرب**، دار البصائر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992م.

4-أبو الحسن إسحاق بن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، تح، جني محمد شرف.

5-أبو الفرج ابن الجوزي، **زاد الميسر في علم التفسير**، ج5.

6-أبو بكر العزاوي، **اللّغة والحجاج**، العمدة في الطبع الدار البيضاء، ط1، 1426ه، 2006م.

7-أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**.

8-أحمد تركي، **حجاجية التشبيه عند النقاد القُدماء**، اتحاد الكتاب العرب، مج 32.

9-باتريك شارودو، **الحِجَاج بين النظرية والأسلوب**، تر،أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2009م.

10- الجاحظ، الحيوان، ج1

11- جميل حمداوي وبلال داوود، **بلاغة الحجج**، ط1، 2022م.

12- جميل حمداوي، **من الحجاج إلى ابلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق 2014 م، المغرب.

13- الجيلالي سلطاني، **الصور التشبيهية ودورها في الإبلاغ**.

14- حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**.

15- حافظ إسماعيل علوي، **الحجاج مفهومه ومجالاته**، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، ط1، 1431ه-2010م.

16- حسن المودن، **دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي**، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته،ج1.

17- حمادي صمود، **مقالات في تحليل الخطاب**، كلية الآب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2008م.

18- حمّادي صمّود، **مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح** (الحجاجي) ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) حمادي محمود، كلية الآداب مندوبة، تونس.

19- رجاء عبيد، **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**، منشأ المعارف، مصر.

20- صابر الحباشة، **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**، دمشق، 2008م.

21- صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، عالم المعرفة، الكويت، جانفي 1978م.

22- عبد الحليم بن عيسى، **البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم**، مجلة التراث العربي، ع 102.

23- عبد العظيم المطعني، **المجاز في اللّغة والقرآن الكريم**، ج1.

24- عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2001م.

25- عبد الله صولة، **في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات**، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1.

26- عبد الهادي بن ظافرالشهري، **آليات الحجاج وأدواته** ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) ج1.

27- عبد الهادي ظافر الشهري، **استراتجيات الخطاب**.

28- علي الجندي، **فن التشبيه**، بلاغة، أدب، نقد، ج1، ط1.

29- فهد بن عبد الله الحزمي، **قواعد البلاغة**.

30- فيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1.

31- فيليب بروطون، **الحجاج في التواصل**، تر، محمد مشبال و عبد الواحد التهامي العلمي، ط1، 2013م.

32- كريستيان بلانتان، **الحِجاج**، تر، عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، تونس، 2010م.

33- كمال بخوش، **محاضرات في نظريات الحجاج**، جامعة المدية 221.

34- مجدي الكيلاني، **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر**، دار التنوير، ط1، 2008م.

35- محمد أبو موسى، **الإعجاز البلاغي**، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهيبة 14 شارع الجمهورية القاهرة، ط 2.

36- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، ج16، تونس، 1984م.

37- محمد العمري، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005م.

38- محمد حسين علي الصغير، **أصول البيان العربي**.

39- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008م، ط1.

40- محمد صقر خفاجة، **تاريخ الأدب اليوناني**، مكتبة النهضة المصرية، 1956م.

41- محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، القاهرة، ط1، 1417ه، 1997م، ج1.

42- محمد علي القارص، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة "لمشال ماير" ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم).

43- محمود اليعقوبي، **دروس في المنطق الصوري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.

44- محمود موسى حمدان، **أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم**، ط1، 1413ه، مطبعة الأمانة.

45- مسعد الهواري، **قاموس قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوق**، مكتبة الإيمان، المنصورة.

46- مصطفى الصاوي الحويشي، **البلاغة العربية تأصيل وتجديد**، منشأة المعارف.

47- هشام الريفي، **الحجاج عند أرسطو** ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، مندوبة، تونس.

48- **Chaïm Perelman,Lucie O- Tyteca,Traité de l'argumentation . France.paris.**

الملخص:

تناولنا في هذه الدراسة الكشف عن آلية التّشبيه الحجاجي في القرآن الكريم (سورة طه أنموذجا) باعتبار القرآن الكريم خطابا حجاجيا بامتياز، حيث يعتبر النّص القرآني له القدرة على التأثير وتقديم الحجّة لإقناع المتلقي لقوله تعالى:"قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَة" الأنعام . 149، ونظرا للأهمية التي أصبح عليها الحجاج أو ما يسمى(بالبلاغة الجديدة) بتزويد الباحث وتدعيمه بآليات تسعفه في فهم الخطابات وتفسيرها ، والوقوف على طرق اشتغال المقومات الإقناعية فيها، ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر توزع البحث الى مقدمة وجانب نظري وجانب تطبيقي ، فالجانب النظري اشتمل على ثلاثة فصول خصصنا فيه تعريف التشبيه أركانه وأقسامه والتشبيه عند علماء البلاغة والحجاج عند العرب والغرب حديثا وقديما أمّا الجانب التطبيقي اشتغلنا فيه على ثلاثة فصول كالتالي:التعريف بالسورة ثم النظريات الحجاجية ثم آلية التشبيه الحجاجي.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم ، سورة طه ، الحجاج ، التشبيه، التشبيه الحجاجي ، النظريات الحجاجية ، الحجاج الجدلي ، الحجاج الخطابي، الحجاج اللساني ، الحجاج البلاغي ، التشبيه المرسل ، التشبيه الضمني، التشبيه المقلوب ،التشبيه المؤكد ،السفسطائيين.

الفهرس

الفهرس:

العنـــــــاويـــــــن	الصفحة
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول:	
تمهيد	**3**
مدخل إصلاحي لتقريب مصطلح التشبيه (لغة واصطلاحا)	**3**
المبحث الأول: التشبيه لغة واصطلاحا	**4**
المبحث الثاني: أركان التشبيه أقسامه	**7**
المبحث الثالث: التّشبيه عند علماء البلاغة	**11**
الفصل الثاني: التشبيه عند علماء الغرب	
الفصل الثالث: الحجاج	
تمهيد	**16**
المبحث الأول: الحجاج لغة واصطلاحا	**16**
المبحث الثاني: الحجاج عند العرب والغرب قديمًا	**19**
المبحث الثالث: الحجاج عند العرب والغرب حديثًا	**29**
الجانب التطبيقي	
الفصل الأول	**36**
المبحث الأول: التعريف بسورة طه	**36**
الفصل الثاني: النظريات الحجاجية	**39**
المبحث الأول: نظرية الحجاج الجدلي	**40**
المبحث الثاني: نظرية الحجاج البلاغي	**44**

المبحث الثالث: نظرية الحجاج اللّغوي أو اللّساني	**14**
المبحث الرابع: نظرية الحجاج الخطابي	**47**
الفصل الثالث	
المبحث الأول: آلية التشبيه الحجاجي ودوره في إيضاح المعنى في سورة طه	**53**
الخاتمة	**65**
قائمة المصادر والمراجع	**68**